Journal of Alasmarya University
Volume 12, December 2009

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الثاني عشر، ديسمبر 2009

سمات أسلوبية في كلام الجن

د. محمد متولي أحمد *

أحسب أن تناول مثل هذا الموضوع لا يخلو من طرافة، أو قل: من غرابة -فكيف يكون التناول لخصائص الكلام، وأصحاب الكلام خلق لم نسمع منهم كما نسمع لسائر المخلوقات من حولنا، ولم نرهم كما نرى سائر المرئيات حولنا وحوالينا! ولكن على الرغم من هذه وهذه- فدراسة كلام هؤلاء أمر مشروع؛ فمادتنا المدروسة، جزء كبير منها محفوظ في الصدور، وكثير منها مدون في السطور لقرون خلت، ومن هنا فقد أثبتت هذه المادة وجودها، وبرهنت كذلك على جدارتها بالدراسة. أو هكذا يقول النقاد المحدثون[1].

إن عمدتنا هنا -في اعتماد المادة المدروسة- أمران: الأول يقيني، والآخر ظني الثبوت، أما القطعي اليقيني فهو ما ورد في القرآن الكريم، وهو نص «لا سبيل إلى الشك في صحته»[2] وكذلك ما ورد فيما اتفقنا على صحته من كتب الحديث[3]. وأما الظني فهو ما كثر وتكرر من أشعار الجن إلى درجة تشبه التواتر[4] وردت في تضاعيف

---

* الجامعة الأسمرية.

1- فالوصف الذي تقوم به الدراسة الأسلوبية لا يبدأ بدراسة لغة العامة، أو الفاشلين، بل يقتصر على لغة الفنانين العظام. انظر مجلة فصول. العدد الثاني. مناهج النقد الأدبي المعاصر. يناير 1981: 137

2- في الشعر الجاهلي. طه حسين. القاهرة. دار الكتب المصرية. 1926: 16، 183 وانظر: نظرية المعنى في النقد العربي د مصطفى ناصف. دار الأندلس. بيروت: 169

3- المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، مصطفى عبد القادر عطا. بيروت. دار الكتب العلمية. 1411-1990

4- فمن هذه الشواهد ما ذكره كل أرباب المعاني والبيان ونصوا عليه. انظر: نصرة الثائر على المثل =

مصادرنا، مذ كان للعرب مدونات ومؤلفات.

و(سمات أسلوبية) الواردة في العنوان يعنى بها: الخصائص اللغوية والأسلوبية الأساسية في كلام هؤلاء، فالدراسة هي محاولة لعرض بعض هذه الخصائص وتحليلها في ضوء الدراسات الحديثة في علم الأسلوب[5].

أما كلمة (كلام)[6] فالمقصود بها ما اصطلح عليه المحدثون بما يمكن أن نترجمه بكلمة (إبداع) أو (فن) أو (أدب) على وجه العموم، فدرسنا سيقتصر على مستوى معين مما جاء على ألسنة هؤلاء الجن، وهو المستوى الفني، لا ما يرد بلغة نفعية يتعامل بها الناس -والجن كالناس- ويتواصل بها المتواصلون[7].

أما كلمة (الجن) فقد جاء في لسان ابن منظور: «جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً: سَتَره. وكلُّ شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك. وأَجَنَّه: سَتَره؛ وفي الحديث: جَنَّ عليه الليلُ أَي ستَره، وبه سمي الجِنُّ لاسْتِتارهم واخْتِفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجَنينُ لاسْتِتاره في بطن أُمِّه. والجِنُّ: ولدُ الجَانّ؛ نوعٌ من العالَم سمُّوا بذلك لاجْتِنانِهم عن الأَبصارَ ولأَنهم اسْتَجَنُّوا من الناس فلا يُرَوْن، والجمع جِنانٌ، وهم خلاف الإنسِ، والواحد جنِّيٌّ»[8].

=

السائر. الصلاح الصفدي. دمشق، مجمع اللغة العربية 1971م: 39/1

5- «فإذا كانت وظيفة اللسانيات تنحصر لدى نهاية الجملة فإن الأسلوبية تبتدئ في خصائص العلاقة وفي نظام الكلام داخل نص من النصوص». انظر نظرية التلقي، مقدمة نقدية. ترجمة د. عز الدين إسماعيل تأليف روبرت هولب القاهرة المكتبة الأكاديمية.142: 2000

6- ففي الدراسات الأسلوبية تنقسم الظاهرة اللسانية إلى ظاهرتين وجوديتين: ظاهرة اللغة، وظاهرة العبارة، أي اللغة والكلام؛ فاللغة هي الإطار العام وهي لغة التعامل النفعي اليومي، أما العبارة فهي ذاتية وتحمل الشحنة الانفعالية والوجدانية. انظر الأسلوبية والأسلوب. عبد السلام المسدي. ليبيا، تونس. الدار العربية للكتاب. 1982: 94

7- وقد ورد من ذلك حوارات كثيرة كانت اللغة مجرد وسيلة اتصال كانت منهم إما فيما بين الجن أنفسهم، أو فيما بينهم وبين بني البشر، كالشعراء مثلا، وقد ورد هذا غير قليل في مؤلفات العرب، انظر مثلا: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين). جمعه الأخوان الخالديان (أبو بكر وأبو عثمان). تحقيق السيد محمد يوسف، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر. 1958م: 101/1، الجليس الصالح والأنيس الناصح. المعافى بن زكريا. تحقيق د. محمد مرسي الخولي 1981: 1: 147، جمهرة أشعار العرب. أبو زيد القرشي، القاهرة، الطبعة الأميرية، 1308هـ: 11/1.

8- لسان العرب، جمال الدين بن مكرم، ابن منظور، ت عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار

=

الجن في ثقافة العرب

لعله لا يكون من قبيل المبالغة إذا قيل إن كلام البشر عن الجن أكثر من كلامهم عن الملائكة، على الرغم من أنهما نوعان من العالَم يختفيان عن الأبصار، كلام البشر أكثر خاصة في ذلك الزمن الذي يمتد من قبل البعثة النبوية، وحتى عصر العباسيين، وهو الزمن الذي استمد البحث منه المادة التي يتناولها بالدراسة فإذا كنا نقول إن «النص (امتداد أو توسيع) لما لدى القارئ من حقيقة واقعة»[9]، أو «إن الأدب يقول لنا شيئا عن الواقع»[10]، فهل الجن حقيقة واقعة عند العرب، سواء قبل نزول القرآن، أم بعده؟

ليس لدى البحث إجابة عن هذا السؤال إلا بـ (نعم)؛ فمن يتتبع يجد العرب يقولون: «عبقر موضع بالبادية كثير الجن، يقال في المثل جن عبقر، قال ابن الأثير عبقر قرية يسكنها الجن، فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق، أو شيئا عظيما في نفسه نسبوه إليها فقالوا: عبقري»[11].

ويقولون في تفسير: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: 65]: شبه ثمارها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر[12]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها، لأن الناس إذا وصفوا شيئًا بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان، وإن كانت الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها متصور في النفس[13].

وشاع عند العرب أنها «تشبِّه قبيح الصورة بالشيطان، فيقولون كأنه وجه شيطان، أو رأس شيطان، وإن لم يروه، لما أنه مستقبح جداً في طباعهم، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيرتسم في خيالهم بأقبح صورة، ومن ذلك قول امرئ القيس:

=

المعارف: [جنن]

9- نظرية التلقي، مقدمة نقدية. ترجمة د عز الدين إسماعيل. تأليف روبرت هولب. القاهرة، المكتبة الأكاديمية، سنة2000: 140

10- نفسه: 139

11- لسان العرب: [عبقر]

12- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير، ت سامي بن محمد سلامة. ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع. 1999م: 20/7

13- معالم التنزيل، تفسير البغوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993: 42/7

أيقــتلني والمــشرفي مــضاجعي ومـسنونة زرق كأنـياب أغـوال[14]

ولم تـر الغول قط ولا أنيابها، ولكن العرب إذا قبحت المؤنث شبهته بالغول وإذا قبحت المذكر شبهته بالشيطان»[15].

فالـشيطان مكـروه مـستقبح في طـباع الناس[16]؛ يقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون: جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهـوله[17]، يقـول الجاحظ في هذه المسألة: «ففي إجماع المسلمين والعرب وكلٍّ من لقيناه على ضرْب المثل بقُبْح الشيطان، دليلٌ على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح»[18].

فـالكلام عـن وجـود الجـن في ثقافة العرب أمر يقيني تواترت الأمور عليه، فهو مستقبح جدا في طباعهم، مرتسم في خيالهم، مستقر في نفوسهم.

وأمـا الكـلام عن علاقة الشعراء بالجن فحدث ولا حرج، فعندهم أن لكل شاعر شيطان؛ يروي الجاحظ: «أن بعض الشعراء قال لرجل: أنا أقول كل ساعة قصيدة، وأنت تقرضـها في كـل شهر فلم ذلك؟ فكان جوابه: لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك»[19].

وقالها الشعراء أنفسهم في شعرهم؛ قال الراجز:

إنِّــي وإن كــنتُ حــديثَ الــسِّنِّ وكــانَ في العــين نُــبوٌّ عنِّــي

فــــإنَّ شــــيطاني كــــبيرُ الجِــــنِّ

14- «فشبه الأسنة بأنياب الأغوال وهي نوع من الشياطين ولم يرها لما ارتسم في خياله» روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تفسير الألوسي، محمود الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي: 132/17

15- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، بيروت، دار الكتب العلمية: 34/6

16- تفسير النسفي: 193/3، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي، الشوكاني: 200/6، روح المعاني: 95/23.

17- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر، الزمخشري. ت عبد الرزاق المهدي. بيروت، دار إحياء التراث العربي: 1063/1

18- الحيوان 43/2.

19- البيان والتبيين. تحقيق محمد السندوبي القاهرة، المكتبة التجارية.. 1932: 77/1

ومشهور قول أبي النَّجم:

إنِّـي وكـلَّ شـاعرٍ مـن البَـشَرْ شَـيطانُه أُنثـى وشَـيطانِي ذَكَـرْ[20]

بل قالوا إن لهؤلاء الجن ألقاب وأسماء، ولهم نقاد ومجالس للنقد[21].

خلاصـة الأمر أن أمر الجن مركوز في العقلية العربية ارتكاز المرئيات، وقار في أذهـانهم اسـتقرار المحسوسات، وإلا لما جاء التشبيه المصيب في قوله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: 65].

وللجـن كلام في القرآن الكريم -كما سبق أن ذكرنا- ورد في سورة الجن، وفي غيرها من سور القرآن الكريم، بل إن لهم هيئات ظهروا عليها، رآها الناس، وسمع الجن والناس بعضهم بعضا، ولمسوا، أيضا، بعضهم بعضا!

فعـند الحـاكم، للرسـول ﷺ، ولعمـر ﷺ قـصة مع (ابن قارب)، اليمني، الكاهن، وكيف جاءه رئيه من الجن[22] يخبره بمبعث نبي؛ يحكي قارب: «بينما أنا ذات ليلة بين الـنائم واليقظان، إذ أتاني رئي فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب، فافهم، واعقل إن كـنت تعقـل: إنـه قـد بعث رسول الله ﷺ، من لؤي بن غالب، يدعو الله إلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجـــبت للجـــن وتجـــساسها و شـــدها العـــيس بأحلاســـها
تهـــوي إلى مكـــة تبغـــي الهـــدى مـــا خـــير الجـــن كأنجاســـها
فارحـــل إلى الـــصفوة مـــن هاشـــم و اســـم بعينـــيك إلى رأســـها

ويحكـي سـواد أنـه تـوجه إلى المدينـة، قاصـدا الرسـول ﷺ ... يقول سواد: فلما «صـرت بـين يديـه قـال: هـات فأخبرني بإتيانك رئيك» فلما أخبره فرح رسول الله ﷺ وأصـحابه بإسـلامه فـرحا شديدا حتى رئي في وجوههم، قال سواد: فوثب عمر فالتزمه

20- الحيوان 91/1 و46/2 وانظر: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين 101/1

21- مثل الهاتف وأبي هدرش والهوبر والهوجل وهبيد ... إلخ، انظر مثلا: رسالة التوابع والزوابع، لابن شهيد لأندلسي: 11/1. الجمهرة: 17/1، الأغاني للأصفهاني. ت سمير جابر ط 2، بيروت، دار الفكر: 189/2- 453

22- الرَّئِيُّ جَنِّيّ يتعرض للرجل يُريه كهانة وطِبّاً.. يقال للتابع من الجن: رَئِيٌّ بوزن كَمِيٍّ. اللسان: رأى

وقال: قد كنت أحب أن أسمع هذا منك»[23].

فالرسول واجه سواد بقوله: «أخبرني بإتيانك رئيك»، وفرح بإسلامه، ولم يرد، ولم ينكر كلامه عن الجن، وعمر وثب، والتزم (عانقه)، وأحب أن يسمع منه!

وهذا معاذ بن جبل ﷺ يقول: «جعلني رسول الله ﷺ على صدقة المسلمين فجعلت التمر في غرفة فوجدت فيه نقصانا فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: هذا الشيطان يأخذه، قال: فدخلت الغرفة فأغلقت الباب علي، فجاءت ظلمة عظيمة، فغشيت الباب، ثم تصور في صورة فيل، ثم تصور في صورة أخرى، فدخل من شق الباب، فشددت إزاري علي، فجعل يأكل من التمر. قال: فوثبت إليه فضبطته، فالتقت يداي عليه فقلت: يا عدو الله! فقال: خل عني فإني كبير ذو عيال كثير وأنا فقير ... فخل عني فلن أعود إليك، فخليت عنه» يقول معاذ: وبعد صلاة الصبح دعاني الرسول فسألني: «ما فعل أسيرك يا معاذ فأخبرته فقال: أما أنه سيعود ... إلى آخر الحديث»[24].

فالشيطان -كما في النص- يتشكل، ويُرى، ويضبط باليدين، ويسمع، ويأكل ... بل إن للشياطين نغمة، ومشية تميزهم[25].

23- المستدرك، الحاكم: 704/3، الحديث: 6558 وانظر البخاري كتاب مناقب الأنصار باب إسلام عمر، حديث رقم: 3688

24- المستدرك: 751/1، الحديث: 2068

25- عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ خارجاً من جبال مكة، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازه فقال النبي ﷺ مشية جني ونغمته، قال: أجل فقال النبي ﷺ: من أي الجن؟ قال أنا هامة بن الهيم أو ابن هيم بن لاقيس بن ابليس. فقال: لا أرى بينك وبينه إلا أبوين قال: أجل. قال كم أتى عليك. قال أكلت الدنيا إلا أقلها، ... وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه: هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس قيل: إنه من مؤمني الجن وممن لقي النبي ﷺ وعلمه سورة (إذا وقعت الواقعة)، وسورة البقرة الآية مائتان، و(المرسلات) و(عم يتساءلون) و(إذا الشمس كورت) و(الحمد) و(المعوذتين) انظر: أسد الغابة، ابن الأثير: 83/3، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988: 179/16 وهذا، أيضا، أبي بن كعب ﷺ يحكي: أنه كان له جرين تمر فكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: أجني أم إنسي؟ فقال: بل جني فقال أرني يدك فأراه فإذا يد كلب وشعر كلب فقال: هكذا خلق الجن فقال: لقد علمت الجن إنه ليس فيهم رجل أشد مني، قال: ما جاء بك، قال: أنبئنا أنك تحب الصدقة فجئنا نصيب من طعامك قال: ما يجيرنا منكم؟ قال: تقرأ آية الكرسي من سورة البقرة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [إبراهيم: 255]، =

وهذا ابن كثير[26] يورد عن العباس بن أحمد الدمشقي قال: سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد:

قلوب براها الحب حتى تعلقت مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله، والله ربها معلقة بالله دون الخلائق

ما نود الخلوص إليه في كل ما سبق هو أن الجن -مع خفائها- نوع من الخلق موجود بقوة في حياة العرب قار في ثقافتهم سواء في ذلك قبل الإسلام أم بعده.

نحن نعتمد على النص الكريم؛ فالقرآن الكريم «رسالة السماء إلى الأرض، ولكنها ليست رسالة مفارقة لقوانين الواقع بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية، وأهمها البناء الثقافي»[27] كما سيكون اعتمادنا أيضا على ما يأتي من الخبر المقطوع بصحته، على ما أشرنا من قبل. وذلك في محاولة للوقوف على ما يمكن الوقوف عليه من خصائص تتوفر في كلام هذا النوع من الخلق.

على أنه يجب الأخذ في الاعتبار أننا في تناولنا لهذا الموضوع قد يستدعي الأمر ومتطلبات العرض البدء بشواهد الشعر في بعض النقاط لا بنصوص القرآن، ولا بالحديث، وفي بعضها قد يتقدم شاهد الحديث ... وهكذا.

السمات الأسلوبية

ولنقف الآن على ما ترآى للبحث من سمات وخصائص تميز كلام الجن:

=

قال نعم، قال: إذا قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمسي، وإذا قرأتها حين تمسي أجرت منا حتى تصبح. قال أبي فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال: صدق الخبيث. المستدرك: 748/1 الحديث: 2064 ... فهو أيضا يتجسد ويكلم ويسمع ويأكل، ويتشكل بصورة الغلام أو الكلب، وعندما سمع الرسول قال: صدق الخبيث، ولم يرد شيئا مما قاله أبي ﷺ.

26- تفسير ابن كثير: 553/4، وانظر تاريخ دمشق. علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر المجمع العلمي العربي بدمشق (571هـ): 243/26

27- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن د نصر حامد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990: 64، 63، 79، 120، وانظر: النص، بنيانه ووظائفه. ضمن: نظرية الأدب في القرن العشرين. فان ديك. ترجمة محمد العمري. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. 1997: 72، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء: 177

أ. طريقة السلسلة

وهذا التشبيه مرده إلى ابن الأثير؛ يقول في معرض حديثه عن البيت[28]:

وقـــبر حـــرب بمكـــان قفـــر ولـيس قـرب قـبر حـرب قـبر

يقـول: فهذه الباءات والراءات فيه كأنها سلسلة[29] ويكاد الناس يجمعون على أن هـذا البيت من قول الجن؛ «... والدليل على أنه من شعر الجن أمران: أحدهما الرواية، والثانـي أنـه لا يقـوله أحـد ثلاث مرات متواليات إلا تعتع فيه»[30]. فالشيء الذي نركز عليه هنا هـو هـذه الطـريقة الـتي يـسلكها الجن في كلامهم، أعني تكرار الحروف في الكلام.

وجـاء في الأغانـي[31] عن العباس بن مرداس الشاعر المخضرم أنه قبيل إسلامه سمـع مـن جـوف صـنم كـان يعبده يدعوه ضمار؛ يقول: سمعت صوتاً في جوف الليل راعني، فوثبت إلى ضمار، فغدا الصوت في جوفه يقول:

قـــل للقـــبائل مـــن ســـليم كلـــها هلـك الأنيس وعاش أهل المسجد

بإيراد حرف اللام مكررا عشر مرات.

يقـول العـباس: فكـتمت الـناس ذلـك، فلـم أحـدث بـه أحداً حتى انقضت غزوة الأحـزاب، فبينـا أنـا في إبلـي في طـرف العقـيق وأنـا نائم، إذ سمعت صوتاً شديداً، من طائـف لا أبـصره قال: بشر الجن وأجناسها، أن وضعت المطي أحلاسها، وكفت السماء أحراسـها، وأن يغص السوق أنفاسها، قال: فوثبت مذعوراً وعرفت أن محمداً رسول الله ﷺ

28- بدأنا هنا بالشعر لا بالنصوص اليقينية الثبوت لا لشيء إلا لرد هذا المصطلح -السلسلة- لصحابه.

29- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، ابن الأثير. ت محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت المكتبة العصرية. 1995: 105/1 وانظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. أحمد بن علي القلقشندي. ت د. يوسف علي طويل دمشق. دار الفكر، 1987: 294/1 و: نصرة الثائر للصفدي: 39/1

30- مروج الذهب. علي بن الحسين، المسعودي (ت 346 هـ) طبعة بولاق: 233/1، صبح الأعشى: 1/ 294، المثل السائر: 105/1، ربيع الأبرار. الزمخشري. ت محمد علي قرنة. القاهرة سنة 1292هـ: 363، الحيوان: 43/2

31- الأغاني: 106/4

مصطفى، فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلمت، وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار. فحروف السين والألف والهاء واضحة في تكرارها.

ومثل هذا التكرار تجده في:

عجـــبت للجـــن وتجـــساسها و شـــدها العـــيس بأحلاســـها

وفي الأغاني أيضا:

أمـــست رســـوم الـــديار غيرهـــا هـوج الـرياح الزعازع العصف[32]

بتكرار الراء والزاي والعين

وفي لقط المرجان:

ظهـــر الـــنور وبطـــل الـــزور وبعـــث الله محمـــدا بالحـــبور[33]

وفي الجمهرة[34] جاء قول الجني:

طـافَ الخـيالُ علَيـنا لَـيلةَ الـوادي مـن آلِ سَـلمى ولم يُلمِـمْ بمـيْعادِ

فتكرار اللام والميم واضح.

وهذا حابس بن دعنة يحكي عن شبح انحدر إليه من شعب جبل وهو يقول[35]:

يـا حـابس بـن دعـنة يـا حـابس لا تعرضـــن إلـــيك الوســـاوس
هـــنا ســـنا الـــنور بكـــف قـــابس فاجـــنح إلى الحـــق ولا تـــدالس

بتكرار حرف السين سبع مرات!

واسمـع مـا ورد في البخاري[36] من حديث عمر؛ قال: «بينما أنا عند آلهتهم إذ

32- الأغاني: 188/2

33- لقط المرجان للسيوطي: 150

34- جمهرة أشعار العرب: 11/1

35- لقط المرجان للسيوطي: 152

36- صحيح البخاري، ت مصطفى ديب البغا، ط 3، اليمامة، بيروت، دار ابن كثير، 1987: 1403/3 حديث رقم 3653

جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا أنت، فوثب القوم. قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبي». فعمر سمع من صارخ «يقصد جنيا سمع صوته ولم ير صورته» سمع هذا الكلام، ولا يخفى ما فيه من تكرار الجيم والحاء.

وجاء في الأعراف: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: 20-21]، بتكرار النون والكاف والميم.

وجاء في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: 10]، بتكرار الراء في أول الآية، والهاء في آخرها. حيث جاء ﴿بِهِمْ رَبُّهُمْ﴾ دون أريد بهم كما بنيت الآية في أولها.

و هكذا جاء في إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22][37].

وثمة ملحوظة ينبغي وضعها في الاعتبار وهي أن التكرار الوارد في كلام الجن في غير القرآن الكريم ثقيل كل الثقل، وبخاصة البيت: (وقبر حرب) وقولهم: «يا جليح أمر نجيح رجل فصيح» أقول إن مثل هذا الثقل الذي يخل بشروط الفصاحة، كما يقولون، لا ينتظر أن نجده بمثل هذه الحال في القرآن الكريم؛ فلا نتوقع أن نجد ثقلا منفرا في الكلام المعجز، لذا نجد تكرارا ولكنه ليس ممجوجا، تكرارا ليس مخلا على شاكلة قوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: 119] بتكرار لامات القسم والنونات والضمائر العائدة على أبناء آدم. وقوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: 76].

فالمنطق يقول إن القرآن الكريم راعى طريقتهم في الوقت الذي حافظ فيه على خصوصيته من الفصاحة والبعد عن الثقل والتنافر، ولعلك، لذلك، تجده يكرر الحروف

37- وهكذا في الأعراف: 21، وفي النساء: 117: 119

بتكرار الكلمة بعينها كما في: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: 22] ففي غير القرآن يمكن أن يقال ابتداء: فلوموا أنفسكم ما لنا من نصير. وكذا قال: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي ... وَخَلَقۡتَهُۥ﴾ دون: أفضل منه خلقتني من نار وهو من طين(38).

ب. النسج

وهذه تشبه طريقة السلسة، ولكن بتكرار أقل، مع نسج الكلمة لتلتحم مع الكلمة التالية وذلك بأن يكون الحرف الأخير من الكلمة هو الحرف الأول من الكلمة التالية لها، مثال ذلك أن تقول: شمس ساطعة -سمع عنه- فتح حوارا.

ولعل أوضح مثال على ذلك فيما عدل به الجن في حديث جابر بن عبد الله(39): «قال: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن على أصحابه حتى فرغ قال: ما لي أراكم سكوتا؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا، ما قرأت عليهم من مرة، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13] إلا قالوا: ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد»، فالمتبادر أن يكون الرد من الجن: ولا بشيء من آلائك التي جاءت في السؤال، ولكن جاء العدول إلى: من نعمك بنسج النونين بين الكلمتين، وقريب منه: ربنا نكذب (صوتيا)، فلعل (نكذب) ذكرت -مع إمكان الاستغناء عنها- لهذا السبب.

وقد لاحظ الكرماني، قبل، في قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: 32] فقال: «لم يجتمع في القرآن همزتان مضمومتان إلا في الأحقاف»(40).

والكرماني لم يقصد بذلك أن هذه خصيصة جنية، ولكن الذي لفته الندرة، فإلى جانب ما في الآية من نسج ترى طريقة نادرة في القرآن الكريم لم ترد إلا على لسان الجن(41).

38- (والأشرف يقبح أن يؤمر بالسجود للأدون) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. سليمان بن عمر، الجمل. القاهرة دار إحياء الكتب العربية: 546/2

39- المستدرك للحاكم: 450/8، حديث رقم: 3725

40- البرهان في توجيه متشابه القرآن. محمود بن حمزة الكرماني 505هـ. ت عبد القادر عطا. بيروت. دار الكتب العلمية. 1986: 175

41- ولعله من باب الندرة أيضا أن تجد ألفاظا لم ترد في القرآن الكريم إلا على لسان الجن، وكلها =

اقرأ في ص: ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [ص: 76]. وفي النمل: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ [النمل: 39]. وفي الأنفال: ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال: 48]. وفي سورة الجن التي تجد فيها سمة النسج واضحة، اسمع: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴾ [الجن: 11]، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ [الجن: 12]. وقريب من هذا صوتيا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴾ [الجن: 14].

فهنا -في هذا الحيز المحدود من سورة الجن- تجد هذا النسيج ظاهرا، بحيث يقف ذلك شاهدا على أن هذه خصيصة يتحدث بها الجن، وإن كان لا يخلو الأمر من أنها قد ترد على غير لسانهم؛ ولكن ليس بهذه الصورة من الوفرة[42].

وجاءت طريقة النسج هذه فيما ورد في شعرهم:

تهوى إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمن الجن كأنجاسها[43]

قلوب براها الحب حتى تعلقت ... مذاهبها في كل غرب وشارق[44]

أَنّى اهتَديتَ إلى مَن طالَ ليلُهُمُ ... في سَبسبٍ ذاتِ دَكْداكٍ وأعقاد[45]

قل للقبائل من سليم كلها ... هلك الأنيس وعاش أهل المسجد[46]

وقريب من ذلك:

أمست رسوم الديار غيّرها ... هوج الرياح الزعازع العصف[47]

=

وردت في سورة الجن كالكلمات الآتية: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ... فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ... وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ ... كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ... وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴾.

42- فأنت تجد في القرآن الكريم مثلا: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ﴾ [الإسراء: 14] بحرفي الكاف، ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: 15] بحرفي الهمزة، إلا إن مثل ذلك لا يكاد يعد على الأصابع في القرآن كله.

43- انظر تفسير الألوسي: 395/9، المستدرك: 704/3 الحديث: 6558

44- تفسير ابن كثير: 553/4، وانظر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر: 243/26

45- الجمهرة: 11/1

46- الأغاني: 106/4

47- نفسه: 189/2

ج. التأكيد

التوكيد سمة بارزة في كلامهم، والتأكيد بالقسم وبالنون بخاصة: فهذا إبليس لا يكاد يرد على لسانه كلام إلا وكده:

- ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: 32-33]. «فهو يرى نفسه أعلى وآدم أدنى؛ يقول: لا يصح مني أو لا يليق بحالي السجود، فاللام لتأكيد النفي»[48]، أو قل: «نفى عن نفسه أن يكون ساجدا بأبلغ لفظ يستعمل في النفي لأن هذه اللام لام الجحود وتظهر بعدها أن ولا يقع بعدها المصدر، وتختص بكان. معناه ما فعلت فيما مضى ولا أفعل في الحال ولا أفعل في المستقبل فكان الغاية في النفي»[49].
- وتسمعه يقسم ويبالغ في التأكيد: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 118-119]. فـ«لأتخذن ... وكل اللامات للقسم؛ وهي جواب قسم محذوف»[50].
- وقال في الأعراف: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف: 16-17].
- ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21].
- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ

48- الفتوحات 546/2

49- أسرار التكرار في القرآن: 110

50- الفتوحات الإلهية: 426/1. (وجاء ترتيب هذه الجمل المقسم عليها في غاية من الفصاحة، بدأ أولاً باستخلاص الشيطان نصيباً منهم واصطفائه إياهم، ثم ثانياً بإضلالهم وهو عبارة عما يحصل في عقائدهم من الكفر، ثم ثالثاً بتمنيتهم الأماني الكواذب والإطماعات الفارغة، ثم رابعاً بتبتيك آذان الأنعام، هو حكم لم يأذن الله فيه، ثم خامساً بتغيير خلق الله وهو شامل للتبتيك وغيره من الأحكام التي شرعها لهم. وإنما بدأ بالأمر بالتبتيك وإن كان مندرجاً تحت عموم التغيير، ليكون ذلك استدراجاً لما يكون بعده من التغيير العام) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، بيروت، دار الفكر: 288/3

ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: 39-40][51].

❁ ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 62].

وقد يقال إن إبليس قد ركبه الغضب وقد رأى عدوه؛ هذا المخلوق الجديد -آدم عليه السلام- وقد نال تلك الحظوة وهذا الفضل فصار يرغو ويزبد، ويصر ويتوعد، ويلح ويؤكد لكن ليس هكذا الأمر، فهذا أحدهم -بني الجن- يجلس في غير ثورة ولا غضب، في مجلس سليمان عليه السلام حيث: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: 39][52]، فأكد بتقديم الضمير أو بالجملة الإسمية (أنا آتيك)، وأكد بها، وبإن وباللام!

وفي مجال التأكيد بالحروف نجد أنه من الواضح -من القراءة الأولى لكلام الجن- أن حرفي (إنّ) و(أنّ) -كما جاء في سورة الجن- يطبع كلامهم بالتوكيد: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا ... وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ... وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ ... وَأَنَّا ظَنَنَّآ ... وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ...﴾ إلخ.

ويدخل في هذا المجال استعمال (لا) المذكرة[53] في: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: 3]، إذ قد يفهم المعنى العام لو قيل: ما اتخذ صاحبة وولدا، ويفهم أنه لم يتخذ الاثنين.. إلا أن احتمالا يبقى قائما وهو أنه لم يتخذ صاحبة، لكنه اتخذ الولد، أو أنه اتخذ الولد ولم يتخذ الصاحبة، لذلك جاءت لا المذكرة لتذكر أن النفي الذي ينسحب على الأول (عدم اتخاذ الصاحبة) ينسحب على الثاني (عدم اتخاذ الولد). وفي هذا ضرب من التوكيد.

51- وفي: إبراهيم: 22، الأنفال: 48

52- والعفريت: رئيس منهم، أو القوي الشديد والكلام عن حمل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام. انظر: مختصر تفسير الطبري. ابن صمادح الأندلسي. القاهرة دار الشروق 1980: 427

53- لا المذكرة هذه هي التي اشتهرت بلا المزيدة للتأكيد، وفي هذه التسمية تجوز، فالتأكيد بالحروف يأتي والحرفان متتابعان مثل (لا لا أفعل)، وهذا غير (لا أقول ولا أفعل) فلا الثانية هنا تذكر أن النفي الذي انسحب على القول ينسحب أيضا على الفعل، وهذا خلاف لو قلت (لا أقول وأفعل) فذا التركيب يوقع في اللبس فقد يحتمل معنى لا أقول ولكن أفعل، أو لا أقول ولكن أفعل، والجن بإيراد لا الثانية أزالوا ذلك اللبس، وفي إزالة اللبس -أيضا- ضرب من التوكيد ولكن وسيلتهم لا المذكرة، وليس ما قيل عنها مزيدة للتأكيد. انظر في هذه القضية: روح المعاني 291/1، بناء أسلوب النفي في القرآن. د محمد متولي أحمد. مخطوط بكلية الآداب جامعة عين شمس. القاهرة. 1992: 86 وما بعدها.

ووردت (لن) دون (لا) ضربا من التوكيد، فقالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: 2] دون ولا نشرك، وقالوا: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: 5]، و﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: 7]، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: 12].

قال الزمخشري في ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: 95]، و﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا﴾ [الجمعة: 7]: «ولا فرق بين (لا) و(لن) في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل، إلا أن في (لن) تأكيداً وتشديداً ليس في (لا)» [54].

وقد يختار الجني التوكيد بالمصدر المؤكد:

جاء تعليقا على قولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: 5]، أيْ كُنَّا نظنُّ أنه لنْ يكذبَ على الله تعالى أحدٌ أبداً ولذلك اتبعنَا قولَه وكَذِباً مصدرٌ مؤكدٌ لتقولَ لأنَّه نوعٌ من القول أو وصفٌ لمصدره المحذوفِ أيْ قولاً كذباً أيْ مكذوباً فيهِ وقُرِىءَ لنْ تَقوَّلَ بحذفِ إحدَى التاءينِ فكذباً مَصدرٌ مؤكدٌ له لأنَّ الكذبَ هو التقولُ[55].

د. المبالغة

المبالغة هنا تأتي من ألفاظ تؤدي دلالات يمكن أن يقال عنها إنها حادة، أو أن يقال إنها في الحد الأقصى، فإنا لو قلنا مثلا الفعل: (سلب) أو: (أخذ) أو: (سرق)، فإن كل هذه الأفعال لا تصل إلى الحد الأقصى الذي يصل إليه الفعل (جرد) في الدلالة، اسمع قول إبليس:

- ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62] [56]. فهو لا يقول بالتضليل أو بالإغواء أو بالتزيين بل بالاستيلاء؛ فاحتنك مأخوذ من: احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا؛ مأخوذ من الحنك، وقيل لأسوقنهم وأقودنهم حيث شئت[57]، واحتنك الجرادُ الأَرض: أتى على نبتها وأَكل ما عليها. وقال الأَخفش: أي

54- الكشاف: 532/4

55- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، أبو السعود. بيروت، دار إحياء التراث العربي: 391/6

56- مختصر تفسير الطبري: 321

57- من حنك الدابة إذا جعل الرسن في حنكها) انظر الفتوحات: 634/2

لأَستأْصلنهم ولأَستمِيلَنَّهم. واحْتَنَك فلان ما عند فلان أَي أَخذه كله[58].

فانظر إلى اختيار إبليس لمفرداته، كأنه يقول عن آدم عليه السلام: لأخضعنه ذليلا بعد أن أجرده من كامل إرادته، ولا شك أن كلاما مثل هذا مبالغ فيه.

- وتأتي المبالغة في استعمال لفظ ﴿لِبَدًا﴾[59] في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: 19]، أي: كاد الجن «يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره»[60]، قال الزجاج: ومعنى ﴿لِبَدًا﴾: يركب بعضهم بعضاً، ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش[61]، قال مجاهد: وهو من تلبدَ الشيء على الشيء، أي: اجتمع، ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه، وكل شيء ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبدته، ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد: لبدة، ويقال للجراد الكثير: لبد[62].

فأي لفظ يعبر عن الاجتماع والالتصاق والتراكم من لفظ ﴿لِبَدًا﴾؟؛ يقول أبو البقاء: لبدا: جمع لبدة، وهو نعت للمبالغة[63].

- ومثل هذا تجده في قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: 9]. يعني أن: مَرَدة الجنّ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة، فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشُّهب المحرقة، فقالت الجنّ حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

يقول الراغب الأصفهاني: «الرصد: الاستعداد للترقب، يقال: رصد له، وترصد، وأرصدته له. قال عز وجل: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: 107]،

58- لسان العرب: حنك.

59- «وردت في قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة» تفسير البغوي: 242/1، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 23/19

60- الكشاف: 1305/1

61- فتح القدير. الشوكاني: 327/7

62- نفسه: 328/7

63- إملاء ما من به الرحمن. أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، بهامش الفتوحات للجمل: 270/2

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14]، تنبيها أنه لا ملجأ ولا مهرب منه. والرصد: يقال للراصد الواحد، وللجماعة الراصدين، وللمرصود، واحدا كان أو جمعا. وقوله تعالى: ﴿يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: 27]، يحتمل كل ذلك»(64).

ويقول الألوسي: «رصد صفة شهاباً فإن كان مفرداً فالأمر ظاهر، وإن كان اسم جمع للراصد كحرس فوصف المفرد به لأن الشهاب لشدة منعه وإحراقه جعل كأنه شهب»(65). ولا شك أن لفظا يُحكم عليه بأنه: «يحتمل كل ذلك» و«شدة منعه وإحراقه» لا شك محمل بمعاني وكثافة تصنفه في جانب المبالغة.

ولعل ما جاء على لسان إبليس في: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16] لعله يدخل معنا في مقولة المبالغة، «فالإغواء إيقاع الغي في القلب؛ أي فبما أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار، وقيل: بما أهلكتني بلعنك إياي وقيل: بما أضللتني وأبعدتني، وقيل: بما خيبتني من رحمتك ... ويقال غوى الرجل يغوي غيا إذا فسد عليه أمره أو فسد هو في نفسه»(66).

فأن يأتي إبليس بلفظ هكذا مشحون، دون التعبير بأضللتني -وحسب- أو بأهلكتني أو بأفسدتني أو بخيبتني، وكلها واردة في اللغة دلالة على هذه المبالغة.

- ولعل أوضح مثال في هذا الباب، المبالغة، كلمة (رهقا) في قولهم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6].

ولنترك ابن منظور يدلنا على ما في هذا اللفظ من شحنة؛ يقول: «الرَّهَقُ الكذب والرَّهَقُ الخِفّةُ والعَرْبَدة والرَّهَقُ جهل في الإنسان وخِفَّة في عقله تقول به رَهَق ... والمُرَهَّقُ الفاسِد. ابن الأَعرابي: إنه لَرَهِقٌ أَي سريع إِلى الشرّ سريع الحِدَّة. قال الشيباني فيه رَهَق أَي حِدَّة وخِفَّة وإِنه لَرَهِقٌ أَي فيه حدّة وسفه، والرَّهَق السَّفَه والنُّوكُ، والرَّهَق التُّهمَةُ، والمُرهَّقُ المُتَّهم في دِينه، والرَّهَقُ الإِثْم، والرَّهْقةُ المرأَةُ الفاجرة. وأَرْهقه عُسْراً أَي كَلَّفه إياه، تقول: لا تُرْهِقني لا أَرهَقك اللهُ أَي لا تُعْسِرْني لا أَعْسَرَك اللهُ، وأَرْهَقَه إِثماً أَو أَمراً صَعْباً، والمُرْهَقُ المَحْمول عليه في الأَمرِ ما لا يُطِيق وبه رَهْقة شديدة وهي العَظَمة

64- مفردات ألفاظ القرآن. الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني. دمشق دار القلم: 403/1

65- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود أبو الفضل، الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي: 341/21

66- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: 2087/1

والفَساد والرَّهَق غِشْيان المحارم من شرب الخمر ونحوه ...

وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَي ذِلة وضَعفاً، وقال قتادة زادوهم إثماً وقال الكلبي زادوهم غَيّاً وقال الأَزهري فزادوهم رهَقاً: سرعة إِلى الشر، وقيل: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَي سَفَهاً وطُغياناً وقيل في تفسير الرهَق الظُّلم وقيل الطغيان وقيل الفساد وقيل العظَمة وقيل السفه وقيل الذلّة ويقال الرهق الكِبْر»[67].

وزد على ما قاله ابن منظور قول الثعلبي: «قال ابن عباس: زادوهم إثماً. معمر عن قتادة: خطيئة. سعيد عنه: جرأة. مجاهد: طغياناً. ربيع: فرقاً. ابن زيد: خوفاً. إبراهيم: عظمة، وذلك أنّهم قالوا: (سدنا) الجن والإنس. مقاتل: غيّاً. الحسن: شرّاً. ثعلب: خساراً»[68]. فهكذا يحتمل اللفظ كل هذه المعاني.

وتأتي المبالغة عن طريق توظيف المصدر؛ ففي الوصف بالمصدر -كما يقول ابن جني- إعظام ومبالغة[69]؛ ففي قولك: رجل عدل، دون رجل عادل، أي بالعدول عن الوصف بالصفة إلى الوصف بالمصدر أمران: أحدهما صناعي والآخر معنوي؛ أما الصناعي فليزيدك أنسا بشبه المصدر للصفة، وأما المعنوي فلأنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه[70]. أو«كأنه وصف بجميع الجنس مبالغة»[71].

فهكذا جاء على لسان الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ «والعجَب: الأمر الغريب، وعجب الأمر أي عَظُم وكَبُر»[72]، وصفوا قرآناً بقولهم: ﴿عَجَبًا﴾ وصفاً بالمصدر على سبيل المبالغة[73] يقول ابن منظور: «العجب: ما خرج عن حد أشكاله ونظائره»[74] أو كما

67- اللسان: [رهق]

68- تفسير الكشف والبيان، للثعلبي: 390/13

69- الخصائص: 202/2

70- السابق: 259/3

71- نفسه: 202/2

72- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: 403/3

73- أي هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه، وحسن مبانيه، ودقة معانيه، وغرابة أسلوبه، وبلاغة مواعظه، وكونه مبايناً لسائر الكتب. والعجب ما خرج عن أحد أشكاله ونظائره. تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي: 354/10، وانظر: المخصص في اللغة لابن سيده: 263/7

74- اللسان: عجب

يقول الزمخشري: «مصدر يوضع موضع العجيب، وفيه مبالغة»[75].

ولعلنا نفهم تصور الجن عن القرآن الكريم، وما أتبع هذا التصور من إطلاق حكم (العجب) عليه، إذا نظرنا إلى استعمال القرآن الكريم نفسه لكلمة (عجب)، فلننظر إلى الأمور التي أطلق فيها هذا الحكم (العجب) دون (العجيب):

- ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [يونس: 2].
- ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: 9].
- ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: 63].

فأن يتنزل وحي من السماء على محمد ﷺ أمر عجب عند كفار قريش متعددي الآلهة ... وأن يظل أصحاب الكهف نياما ثلاثة قرون وتسع سنوات، أمر عجب ... وأي شيء أعجب من حوت مشوي، يحيى بعد موت ويتخذ سبيله في البحر.

إن كل هذه الأمور، لقلة اعتيادها، صدر عليها الحكم بالعجب، دون العجيب. ومن هنا جاء على لسان الجن ﴿عَجَبًا﴾ وصفا للقرآن، مصدرا للمبالغة[76].

وعلى هذه الطريقة -طريقة الوصف بالمصدر مبالغة- جاء قولهم: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ﴾ [الجن: 13] بعد أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ [الجن: 1-2]، فجاء القول عدولا عن سمعنا القرآن: (الهادي) إلى القرآن: (الهدى)، فليس القرآن مجرد هادٍ، إنه الهدى نفسه. يقول الزركشي: «سمي الهدى لأن فيه الدلالة على الحق، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة»[77].

واسمع معي مقولة الجن واختيارهم: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ [الجن: 3-4]. «الشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في السوم إذا أبعد فيه أي يقول قولاً هو في نفسه شطط، وصف بالمصدر للمبالغة»[78] «لفرط ما أشط فيه، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله»[79]، أو قل:

75- الكشاف: 167/4

76- صفوة التفاسير 457/19

77- البرهان: 52/1

78- غرائب القرآن ورغائب الفرقان. حسن بن محمد النيسابوري. بيروت. دار الكتب العلمية: 1877/1 وانظر: فتح القدير للشوكاني: 373/4، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد =

الـشطط هـو بعد مفرط عن الحق، أو هو عين الشطط والبعد المفرط عن الحق، على أنه وصف بالمصدر مبالغة « ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة »[80].

ويـضيف الـرازي إلى مقولة الألوسي هذه: « مبالغة على مبالغة »، يضيف ملحظا آخـر؛ يقول: « واعلم أنه لما كان الشطط هو مجاوزة الحد، وليس في اللفظ ما يدل على أن المـراد مجـاوزة الحـد في جانـب النفـي أو في جانـب الإثـبات، فحينئذ ظهر أن كلا الأمـرين مذموم فمجاوزة الحد في النفي تفضي إلى التعطيل ومجاوزة الحد في الإثبات تفضي إلى التشبيه، وإثبات الشريك والصاحبة والولد وكلا الأمرين شطط ومذموم »[81]. يقصد أن ﴿شَطَطًا﴾ مجرد من الوصف والتعيين أفاد مع المبالغة الإطلاق.

واسمـع معـي كـيف كـان وصـفهم الـسماء عـند نزول القرآن؛ قالوا: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: 8] « فالسماء مُلئَت حرسا شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئا من القرآن. فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق[82].

لاحـظ معـي أنهـم قالوا ﴿مُلِئَتْ﴾ ولم يقولوا (حرست) [83]، فملئت: مستعمل في معنـى كثـر فـيها. وحقـيقة الملء غمر فراغ المكان أو الإناء بما يحل فيه فأطلق هنا علـى كثـرة الـشهب والحـراس علـى وجـه الاستعارة »[84]. فقولهم ﴿مُلِئَتْ﴾ تعني أن السماء فرغت وملئت بالحرس، وهذا لم يحدث، إنما كان الملء في أعينهم هم.

= الحق، ابن عطية الأندلسي. ت: عبد السلام عبد الشافي محمد. لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ 1993م: 351/5

79- الكشاف: 626/4، وانظر: البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي الإدريسي، بيروت دار الكتب العلمية ط2002/2 م. 1423 هـ: 229/8، أنوار التنزيل للبيضاوي، بيروت دار الفكر: 398/5

80- روح المعاني للألوسي: 171/11، وانظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: 243/4

81- مفاتيح الغيب، تفسير الرازي. محمد بن عمر، فخر الدين الرازي (606هـ): 76/16، وانظر: غرائب القرآن للنيسابوري: 1877/1

82- يضيف ابن كثير: « أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه » تفسير ابن كثير: 240/8

83- روح المعاني للألوسي: 72/17

84- تحرير المعنى السديد: 4586/1

نعـم ذكـر الزركشي والسيوطي في (البرهان) وفي (الإتقان)[85] أن سورة الأنعام نـزلت مـرة واحـدة شـيعها سبعون ألف ملك، وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك، وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ... إلخ

فأولا: بعض هذه الأخبار ضعيفة الإسناد كما ذكر العالمان الجليلان[86].

وثانيا: على افتراض الصحة، فإن ثمانين ألفا، وهذا أكثر ما ورد، لا يغمرون السماء لمن ينظر وقد انفلت من كرة الأرض حيث يتسع المدى ويختفي مفهوم الأفق.

وثالـثا: إن مـا جـاء بـسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: «ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة»[87].

ورابعا: سائر القرآن نزل به جبريل بلا تشييع[88].

لعـل الـذي يمكـن أن نخلـص إلـيه أن الجن لما لم يروا مثل هذا العدد من قبل قالوا بأن السماء ملئت أي فرغت وغمرت من باب المبالغة[89].

ولاحـظ أيضا قولهم: حرسا -شديدا- وشهبا، والحرس اسم مفرد، أو اسم جمع في معنـى الحـراس، كالخـدم في معنـى الخدام[90]. فالحرس -إذن- جمع، ولكن عند الوصـف جـاء ﴿شَدِيدًا﴾ بالإفـراد ممـا قد يعطيك صورة الترصد البادية من كل حارس على حده، وأن الجني يرى في كل واحد من الحراس حارسا شديدا مخصصا له. أضف إلى ذلك أنه يجوز أن تكون (حرس) مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة[91]، بل وأضـف أيـضا أنـه قـد لا يكون المقصود بالحرس الملائكة وإنما النجوم الحارسة[92]،

85- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله، الزركشي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت دار المعرفة. والإتقان في علوم القرآن للسيوطي طبعة البابي الحلبي وشركاه.

86- البرهان للزركشي: 199/1، الإتقان: 111/1

87- الإتقان: 112/1

88- برهان الزركشي: 198/1، الإتقان 111/1

89- قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه. انظر معالم التنزيل للبغوي: 239/8

90- الكشاف الزمخشري 1302/1 وهو كما يقال: السَّلَف الصالح بمعنى الصالحين. تفسير القرطبي: 14/19 وانظر فتح القدير للشوكاني: 322/7

91- القرطبي: 12/19

92- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى: 236/3

وهنا يأتي دور ﴿وَشُهُبًا﴾ فيأتي التكرار بين (النجوم والشهب) الذي سوغ له اختلاف اللفظ؛ فكأنهم قالوا: ملئت نجوما ونجوما، أو ملئت شهبا وشهبا!

إن المبالغة لم تأت هنا من تعدد دلالات الألفاظ وحسب وإنما أيضا من مجمل التركيب

الخاتمة

وبعد فهذه وقفة -سريعة- أمام الطريقة التي يتكلم بها الجن فمثل هذه المساحة لا تغطي كل ما يمكن تقصيه عن خصائص القول عندهم والسمات الأسلوبية في كلامهم، ولكن إن جاز لنا التعليق على كل واحدة من الخصائص فلا بأس أن ننظر في كل خصيصة:

خذ مثلا خصيصة التكرار الذي ورد في مثل (وقبر حرب) ومثل التكرار والإعادة في: «يا جليح أمر نجيح رجل فصيح»، فليس فيه غرابة، إنما غرابته علينا نحن لا على الجن فهم ينطقونها بيسر وسهولة فلهم طاقة وسرعة هي ليست لنا. أفلا يكون ميسورا، وطبيعا أن ينطقوا بما يصعب علينا نطقه لتكرار حروفه؟

وعملية النسج وهي أن يأتي بالحرف فيكون في آخر الكلمة وأول التالية مثل: «ولا بشيء من نعمك»، كأنه بالإدغام ولحم اللفظين يجعل من الكلمتين لفظا واحدا. ترى هل هذه الطريقة ترجع إلى شيء في طبائعهم ومسلكهم؟ لعله كذلك، وأخبارهم تقول عنهم أنهم يتلاحمون وويتسلسلون (لاحظ طريقتهم في السلسلة) ويركب بعضهم بعضا عند سماع السماء وكيف أنهم يتلبدون متراكمين ملتصقين على ما أشار البحث من قبل.

فطريقة السلسلة -أعني التكرار، وطريقة النسج- أعني لحم الكلمتين شيء هو في طبع الجن، فهم أهل سرعة وخفة ويستعينون بالتلاحم والالتصاق!

وأما التوكيد تلك الظاهرة التي تلازم كلامهم فلم ير البحث تبريرا لها إلا أنهم لخفائهم عن البشر يريدون أن يخرجوا من خفائهم بالكلام المؤكد، وإظهار معنى هو: أنه ليس معنى كونهم في خفاء عن عيون البشر أن هذا يعني ضعف تأثيرهم عليهم.

وأخيرا المبالغة التي تأتي كثيرا في أوصافهم. ليت من يقول لي مسوغا وتبريرا!